كيف تفهم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين العمل النقابي والجماهيري ؟

مهمة الحزب الثوري تبني قضايا الجماهير الوطنية والطبقية

بقلم الرفيق : أبو الوائل
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

يعتبر العمل النقابي والجماهيري من اولى المهمات الاساسية التي يجب على اي تنظيم او حزب ثوري ان يوليها الاهتمام الاكبر ... فالعيش في صفوف الجماهير وتعليمها والتعلم منها وتحسس مشاكلها والعمل على حلها وتوفير الحد الادنى لاسباب صمودها النضالي والمعيشي هي بعض الشروط التي تساعدنا على الاقتراب من تحقيق الانتصار على اعدائنا القوميين والطبقيين . والجبهة الشعبية باعتبارها تنظيما يؤمن بنظرية الطبقة العاملة وسائر الجماهير الكادحة تناضل بثبات وبكل قناعة لتأمين مصلحة الجماهير في تحقيق الانتصار . وتنظر الجبهة للجماهير على انها هي القوة المحركة للتاريخ وهي التي ستصنع الانتصار . وبدونها لا يمكن تحقيق التحرير والتقدم . اذ عندما تتم تعبئة الجماهير وتنظيمها وتسليحها لا تستطيع اية قوة في العالم مهما بلغت من بطش وارهاب ان تقف امام تطلعات جماهيرنا في التحرر والتقدم وبناء دولتنا الديمقراطية على كامل تراب فلسطين . ولا يمكن لاية قوة ثورية مهما بلغت عددا وعدة ان تحقق النصر بدون الاعتماد على الجماهير .

ان مهمة اي حزب ثوري هي بالدرجة الاولى تبني برنامج الجماهير وقضاياها الوطنية والطبقية . والعمل على تنظيمها وتعبئتها وتدريبها . وهذا يتم من خلال ايجاد المنظمات والمؤسسات الجماهيرية التي تعبر فيها عن رغبتها وقدراتها النضالية الخلاقة . والحزب الثوري هو الذي يتمكن من توفير الاداة التنظيمية كالاتحادات الشعبية ومنظمات الشبيبة والمؤسسات والجمعيات التعاونية التي تساهم في تعبئة الجماهير وتنظيمها .

الحزب والجماهير

ان الحزب الطليعي هو الذي يأخذ على عاتقه تنظيم الجماهير وقيادة نضالاتها والدفاع عن مصالحها ومن دونه لا يمكن ان تحقق الجماهير اي انتصار، وبقدر ما يحرص الحزب الثوري على ان يكون تنظيما للعناصر الطليعية فانه يحرص في الوقت نفسه على ان يكون تنظيما من اجل الجماهير . ينبثق منها ويعيش بينها ويتعلم منها ويقاتل من اجل قضاياها لتحقيق اهدافها القومية والوطنية لتأمين حاجاتها وحريتها وكرامتها وضمان مستقبلها . ومن خلال هذه العلاقة الجدلية بين الحزب والجماهير نستطيع ان نفهم بالملموس دور الحزب ودور الجماهير ايضا يكون فهمنا للحزب الطليعي القادر على تعبئة الجماهير وحشد طاقاتها والارتقاء بها الى مستوى تحمل مسؤولياتها واخذ دورها النضالي في عملية التحرير . وبدون ان نضع الاساس للفهم النقابي ودور الجماهير في هذا المجال من ناحية ودور الحزب من ناحية ثانية فانه يبدو من الصعب الحديث عن الاتحادات الشعبية الفلسطينية ورسم توجهاتها المستقبلية وتحديد مسارها النضالي .

ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تنظر للاتحادات الشعبية على انها منظمات جماهيرية تستهدف تنظيم الاعضاء داخلها والنضال لتأمين قضاياهم المطلبية . والمنظمات النقابية تختلف عن الاحزاب السياسية باعتبار الاحزاب السياسية تضم العناصر التي تدين لها بالولاء السياسي والنظري ، بينما يحق لكل انسان تنطبق عليه شروط العضوية ، كمن يعمل في احدى المؤسسات او احد المصانع او احد البنوك او اي مهنة من المهن ، ان ينضم الى المنظمات الجماهيرية ، ومن هنا تنشأ النقابات المتعددة الاشكال التي يضمها اتحاد واحد هو اتحاد النقابات العام . ونذلك لا يمكن لاتجاهات سياسية متعددة ان تكون

في حزب واحد . ومن ناحية اخرى يكون الطابع العام لهذه الاتحادات هو طابع اللامركزية اي بامكان اي نقابة ان تناضل من اجل قضية مطلبية معينة وتأتي عملية التأييد من باقي النقابات الاخرى ، اضافة الى ذلك نقول انه لا يمكن للمنظمات النقابية ان تكون مطلبية فقط كونها تهدف تغييرا جذريا لبنية النظام . وعلى هذا فهي سياسية ايضا الا ان المواقف السياسية غير ملزمة لكافة اعضاء النقابة بل هي تشكل توجها عاما للنقابات فقط . اما النقطة الاخرى فهي النظام الداخلي للنقابة الذي يحدد مبدأ القيادة الجماعية مما يحول دون فرض التحكم في مسيرة نقابة من النقابات وبالتالي يكون الرأي او الموقف بالاجماع ويؤخذ بغالبية الاصوات .

المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

على ضوء ذلك لنرى ما هو حاصل الان في المنظمات الجماهيرية الفلسطينية وواقعها وهل هي قادرة فعلا ان تشكل حالة جديدة للثورة سواء برفدها بالمقاتلين ام بالمتطلبات الاخرى في حدود امكانياتها ؟

الواقع ان هذه الاتحادات مفرغة من اي مضمون ثوري ، اي ان القاعدة لا تأخذ دورها بالمشاركة في اتخاذ القرار ولذلك يأتي التنفيذ قاصرا ، وذلك يعود الى عقلية الفئة المهيمنة على هذه الاتحادات . ويتركز جل مهام الهيئات الادارية على الزيارات والمؤتمرات والرحلات وينحصر عملها في مناسبات معينة اي قبل الانتخابات بفترة قصيرة بهدف حث القاعدة الى اعادة انتخابها مرة ثانية ولذلك لا يمكن ان يكون هذا العمل قائما على اساس علاقة سليمة بين القاعدة والقيادة ولا تشكل عملية متصلة بل موسمية . كما ان الهيئات القيادية تبقى متمسكة بالقضايا القديمة التي تجاوزها الزمن ، فلو نظرنا الى عدد من الانظمة الداخلية لهذه الاتحادات لوجدنا انها وضعت منذ ١٥ سنة وبقيت على حالها دون اي تطوير او تعديل وهذا ما يشل فاعلية عدد كبير من الاعضاء ربما بعدهم عن التأثير والتطوير في مسيرة الثورة ويستثني عددا كبيرا من الكوادر المؤهلة والقادرة على القيام بعملية التعبئة المستمرة للجماهير . والناحية الاخرى التي لا تقل اهمية هي عملية تركيب الهيئات القيادية نفسها فهي لا تأتي عن طريق الانتخاب بل التعيين بقرار او بأمر من فرد بتعيين فلان في الهيئة الادارية او الامانة العامة والحجج كثيرة لتبرير ذلك اخرها الحجة الامنية . وهذا الاسلوب ما زال قائما حتى الان . وهذا ما يؤثر جدا على نشاطات المنظمات الجماهيرية وكمثل على ذلك : اضراب عمال وكالة الغوث ، فبدلا من ان تقف الجبهة المهيمنة على هذه الاتحادات الى جانب العمال من اجل الحصول على حقوقهم نرى ان تلك الجهة توعز « للكفاح المسلح » لمنع قيام الاضراب . ومثل هذه التصرفات جرت ايضا في مؤسسات اخرى وفي المؤتمرات حيث يقوم هذا الفرد او ذاك من قيادة منظمة التحرير بحذف او تمزيق البيان او البرنامج السياسي الصادر عن هذا المؤتمر ويضع حسب هواه البرنامج السياسي ، وما على اعضاء المؤتمر الا الموافقة والمباركة لهذه الخطوة ، فمثلا تقدم اتحاد عمال فلسطين في دؤتمر اتحاد العمال العرب باقتراح من خلال احد الاتحادات العربية بضرورة ان تؤمن الكويت البترول للعرب ، فوقف مندوب اتحاد عمال فلسطين ضد هذا الاقتراح ودافع دفاعا مستميتا عن وجهة نظره التي تقول انه من الخطأ مطالبة الكويت بتأمين البترول لان فيه ما يضر بالمصلحة العربية بحجة عدم التدخل في الشؤون العربية ، والامين العام لاتحاد عمال فلسطين يدلي بشريحات في احدى الدول الاشتراكية يدافع فيها عن قرار ٢٤٢ بينما منظمه التحرير لم تعترف رسميا حتى الان بهذا الموضوع ، وفي مؤتمر اتحاد المعلمين الذي انعقد مؤخرا في تونس يرد اقتراح بتوجيه برقية لجمهورية اليمن الديمقراطية فيقوم مسؤول الهيئة الادارية في المغرب ويقترح توجيه برقية للمغرب ومسؤول الهيئة الادارية للمعلمين في السعودية يقترح ارسال برقية لملك السعودية ، وكل فرع يقترح برقية وهم ليسوا قادرين على التمييز بين برقية لليمن الديمقراطية باعتبارها دولة تقدمية وبين برقية لملك المغرب باعتباره نظاما رجعيا متخلفا يضطهد الطبقة العاملة المغربية ويتآمر عليها وعلى الطبقة العاملة العربية وهم غير قادرين على التمييز ما بين انظمة وطنية واخرى رجعية . وهذا يدل على المستوى السياسي المتدني لمثل هذه الجهات المسؤولة فكيف يمكن لهذه الجهات ان تقوم